رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الثالثة - العدد [١١] ربيع الآخر ١٤٢٦هـ/ يونيو ٢٠٠٥م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

* افتتاحية العدد.
* كتاب توثيقي جديد: سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح (مسؤولية وعطاء).
* ميلاد جديد للكويت.. في يوم مشهود - قصيدة لأكيروشيبا ممثل مدير عام اليونسكو.
* التواصل بين علماء الأمة حقيقة تؤكدها وثائق أسرة الخالد.
* النوخذة علي ناصر النجدي.
* مساهمة نبيلة في إثراء المجموعة المكتبية التاريخية والاجتماعية لمركز البحوث والدراسات الكويتية.
* إصدارات المركز الجديدة.

الافتتاحية

أيها القارئ العزيز ...

تتابعت «رسالة الكويت» على مدى أكثر من سنتين ومنذ صدور عددها الأول في يناير ٢٠٠٣م وفق منهج ثابت والتزام موضوعي في إطار الأهداف المرسومة لمركز البحوث والدراسات الكويتية، والجهود المبذولة لتحقيقها.

وقد قدم العدد السابق منها عرضًا لباكورة إصدارات المركز عن القيادة السياسية المعاصرة والمواقف والرؤى والتوجهات التي التزم بها قائد المسيرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح، وهذا العدد يحمل في أولى صفحاته عرضًا ضافيًا للكتاب الثاني الذي أصدره المركز عن سمو الشيخ سعد العبدالله الصباح الذي تحمل مسؤولية التخطيط والتنفيذ إلى جوار صاحب السمو الأمير المفدى خلال ما يقرب من نصف قرن.

كما يقدم هذا العدد وثائق تاريخية جديدة عن تواصل علماء الأمة داخل الجزيرة العربية وخارجها على نحو يتيح الاطلاع على الأحوال الثقافية في المحيط العربي وتأثيرها في علماء الكويت وفي نتاجهم العلمي وعلاقتهم بغيرهم من العلماء. هذا بالإضافة إلى تعريف واف ومتكامل بالنوخذة ناصر النجدي الذي عشق البحر حيًا وميتًا، وفاضت على لسانه كلمات الحب والشوق لوطنه الكويت.

ومما هو جدير بالذكر أن المركز قام بجمع هذه الدراسات والوثائق التاريخية، التي نشرتها الرسالة تباعًا خلال العامين الماضيين في كتاب خاص من إصداراته تلبية لرغبات القراء الملحة، وحرصًا على أن تتوافر هذه البحوث متكاملة بوثائقها التاريخية أمام الباحثين والدارسين في هذه الموضوعات التي تنشر لأول مرة، وتمس جوانب ذات دلالات مختلفة في تاريخ الكويت. ومن ثم فهي جديرة بأن تتابع وترصد وتحلل وتنتظم في سياقاتها التاريخية بدلالاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

والمركز مرة أخرى يكرر الشكر لمن زوده بهذه الوثائق التي تمثل في مضمونها وجوهرها جزءًا من ذاكرة الأمة وتاريخها.

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم
رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية
ص .ب :٦٥١٣١ المنصورية - رمز بريدي :٣٥٦٥٢ الكويت - ت : ٣/ ٢/ ٠٠٩٦٥٢٥٧٤٠٨١ - فاكس : ٠٠٩٦٥٢٥٧٤٠٧٨
e-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

النوخذة
علي ناصر النجدي

ما أن ظهر العدد السابق من رسالة الكويت ، وطالع القراء ما نشرناه لألن فيليبرز من مقتطفات تحت عنوان : «الكويت بعيون أبنائها» -حيث جاءت كلمات النوخذة علي ناصر النجدي تفيض بالحب للكويت ورمالها وهوائها- حتى طالب بعض الإخوة بتقديم تعريف واف ومتكامل عن هذا النوخذة الكويتي الذي تحرك لسانه بهذا الوصف المعبر عن إحاساساته ومكنون مشاعره تجاه وطنه الكويت .

فالنوخذة على بن ناصر النجدي أحد نواخذة الكويت المتميزين ، ولقد تميز عن الكثيرين منهم بشجاعته التي جعلته يقود سفينته عبر بحار مفتوحة ، وخلال عواصف خطرة على الرغم من أنه لم يكن ممن برعوا في استخدام أجهزة القياس وقراءة الخرائط البحرية ، كما أنه من النواخذة الذين حافظوا على علاقتهم بالبحر حتى آخر لحظة في حياته ، وقد دفع الثمن المستحق عليه للبحر كاملا ، فمع أنه سلم من أهوال المحيطات لم يسلم من رحلة بحرية عادية في الخليج حيث غرق اليخت الذي كان عليه في هذه الرحلة مع اثنين من أصدقائه كتبت لهما النجاة .

كانت بدايات النوخذة على النجدي حين دخل تاريخ الكويت كواحد من مشاهير النواخذة في الكويت وفي غيرها من دول الخليج ولم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر ، فحينما عرف والده ناصر ولع ابنه «علي» بقيادة السفن بعثه إلى الهند (بندر كاليكوت) حيث انتقى الأخشاب اللازمة لصنع سفينة خاصة به وكان ذلك في عام ١٩٣٧م .

وبعد أن أصبحت هذه السفينة جاهزة ، ركب في قيادتها النوخذة علي ومعه نوخذة يدعى على ابن حسن مساعداً له : وأبحر النوخذة علي إلى الهند في أولى رحلات بوم (بيان) وعاد إلى الكويت بسلام ، فقرر والده منذ ذلك الحين أن يترك ابنه عليا في قيادة السفينة دون مساعدة أحد .

ويقول النوخذة على ناصر النجدي للدكتور يعقوب يوسف الحجي حين زاره في مكتبه عام ١٩٧٩م : «إنه الشوق للبحر ، وقوة العزيمة للشباب ، تلك التي دفعتنا لركوب البحر وللمغامرة . لقد أخذنا البحر «عفرته» على عكس ما كان عليه النواخذة الكويتيون القدامى ، الذين كانوا أكثر حذراً منا ، لا يغامرون في الظروف الجوية الصعبة ، بل كانوا يخففون من الأشرعة على السفينة ليلاً ، أما نحن فقد كنا جيلاً لا يعرف إلا المنافسة والسباق والتحدي ، لقد كان النواخذة القدامى يذهبون رحلة واحدة في الموسم ، أما نحن فكنا نذهب رحلتين أو ثلاث رحلات في الموسم الواحد»[١] .

ولقد خلّد القبطان فيليبرز اسم النوخذة على النجدي ، وكذلك سفينته (بيان) في كتابه (أبناء السندباد) حين سافر معه لمدة أشهر معدودات خلال عودته من رحلة طويلة إلى السواحل الإفريقية على الرغم من أنه لم يكن يجيد استخدام جهاز الكمال لقياس موقعه في البحر المفتوح من الساحل اليمني إلى الساحل الهندي الغربي ، وإنما كان يعتمد على خبرته وحسن تقديره للمسافات ومعرفته بالمجاري ، ونورد هنا ، ما كتبه القبطان (فيليبرز) عن قيادة النوخذة علي ناصر النجدي لسفينته من بندر البحرين إلى الكويت عبر بحر العدان المليء بالشعاب المرجانية ، وبالمخاطر الملاحية : «لقد كان اندفاعنا من البحرين عبر الشعاب المرجانية إلى الكويت أكثر أجزاء الرحلة كلها إثارة ودرامية . ومما يجدر ذكره هنا أن الجانب الغربي من الخليج العربي الممتد من البحرين إلى جوار الكويت مملوء ببقايا المراكب المحطمة الغارقة ، لأن المنطقة تعج بالشعاب المرجانية على امتداد مائتي ميل ، لكن النجدي كان يعرف كل شبر من البحر . وكنت أراقب النجدي باهتمام وأغبطه على تلك الخبرة ، فلم يكن باستطاعتي أن أقوم بما يقوم به ، ولو بعد عشر سنوات من الإبحار والغوص على اللؤلؤ ، حتى لو توافرت لدي جميع الآلات اللازمة» .

ويعلق النوخذة علي النجدي على هذا الوصف قائلا : «لسنا أفضل من غيرنا ، لكنه الشوق للبحر ، واحنا حاطين فكرنا وعقلنا للبحر دائمًا ، حاطين عقلنا للمسافات ، للريح ، للموج ، لكل شيء له علاقة في مهنتنا» ولما سأله

(١) دكتور يعقوب يوسف الحجي ، نواخذة السفر الشراعي في الكويت ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ٢٠٠٤ ، ص٨٣ .

الدكتور يعقوب الحجي عن أفضل سفن الكويت التي شاهدها أجاب بأن كل سفن الكويت جيدة ، لكن العبرة ليست فقط بالسفينة ، ولكن بمن يسيّر السفينة ، لابد من الحرص على السكوني للتأكد من مجراه وسناده» .

ويذكره جميع نواخذة الكويت ولاسيما من أتى ذكره في «روزناماتهم» فيؤكدون أن النجدي لم ينس بحارته الأوفياء ، وكان يشيد بذكرهم وبشجاعتهم وإخلاصهم ، وبقدراتهم الكبيرة والمتميزة ، كما أنهم كانوا يشعرون بالفخر وبالاعتزاز لكونهم بحارة النوخذة على النجدي ، النوخذة الكريم . وتأكيداً على هذه الخصال يقول البحار جاسم مرزوق للدكتور يعقوب الحجي «إنه لا ينسى كرم النوخذة علي النجدي والنوخذة عبدالوهاب اليعقوب» أما الأستاذ خليل بن راشد الذي ركب مع النجدي في رحلته التاريخية إلى السواحل عامي ١٩٣٨م ، ١٩٣٩م ، فيقول : «إن على النجدي كان يزوره في عمارته بعد أن ترك السفر وقيادة السفن ويسأله عن أحواله وعما إذا كان بحاجة إلى المال ، وأنه لم ينسه حتى مات» . ولقد اشتهر النوخذة علي بالكرم حتى في خارج الكويت ، وكان البعض يصفه «بالنوخذة الشيخ علي بن ناصر» وظل على ذلك حتى آخر يوم في حياته .

وفي عام ١٩٦٧م حين زار الكويت القبطان آلن فيليبيرز بدعوة من وزارة الإعلام ، كان النوخذة على النجدي في طليعة المستقبلين له ، وكان فيلبيرز آنذاك قد ترك البحر ولكنه لم ينس ذكرياته مع النجدي الرجل الذي جاب البحار ، وقارع الوسطاء المقيمين على البر وعاد بسفينته وبحارته سالمًا طوال سنوات عمله بالبحر ، دون حاجة إلى جهاز الكمال أو الجداول الرياضية أو إلى ساعة الكرونومتر ، ولقد أشاد فيلبيرز بالنجدي قبل ذلك بثلاثين عامًا حين كان يعيش معه على ظهر السفينة ويرقب حركاته وسكناته ، وسلوكه قولا وفعلاً ، فهو يقول في كتابه «أبناء السندباد»[١] :

«أخذت أفكر وأنا جالس هناك على مؤخرة المركب ، أفكر في الحياة التي كان هؤلاء الرجال يعيشونها ، كما أخذت أفكر في نجدي ومساعده حمد بن سالم ، اللذين كانا يقودان هؤلاء الرجال ، لقد كان للنجدي

(١) آلن فيلبيرز ، أبناء السندباد ، ترجمة وتحقيق د . نايف خرما ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٢م ، الكويت .

أخطاؤه ، فقد كان عنيداً ، لا يقيم كثير وزن للآخرين في كثير من الأحيان ، قانعًا بما لديه من المعرفة ، ويشعر بالأمان لأنه موعود بجنة لا يتكلم أحد فيها إلا اللغة العربية ، لكنه رغم ذلك كله كان بحاراً ذا صفات رائعة ، كما كان قائداً قديراً وملاحًا وربانًا يشار إليه بالبنان ، علاوة على دهائه ومقدرته على مقارعة التجار والوسطاء المقيمين على البر .

لقد كان رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى ، ولذلك أحببته كثيراً ، وكان جميع بحارة مركبنا يحلفون بحياته ، كما كان بحارة المراكب الأخرى يحترمونه ، وكان على مدار ثلاث سنوات متتالية يدفع لبحارته نصيبًا من الربح يزيد عما يدفعه أي نوخذة آخر يقوم بالرحلة السنوية من الكويت إلى ساحل إفريقيا ، مما أكسبه سمعة طيبة ، وفي خلال تلك المدة كانت قيادته قيادة حازمة حكيمة ، تجنبه أية حوادث خطيرة - أضف إلى ذلك كله أن نجدي كان صديقًا حميمًا ، صديقًا تعلمت منه الكثير .

لقد كان نجدي يسوق مركبه طوال الليل ، دون أن يتناول شيئًا من طعام ، ودون أن يغمض له جفن ، وهو جالس على سدته خلف قائد الدفة يراقب باستمرار ، ويفحص في ضوء البوصلة ما يعلق بقاع المسبار من الرمل والحصى كلما أتاه البحارة به ، ويستدل على قوة الريح واتجاهها حتى عن طريق الشم . وكنا أحيانًا نخفف من سرعتنا ونغيّر اتجاهنا إلى هذه الناحية أو تلك ، رغم أني لم أكن أرى لذلك سببًا سوى ما يقوله نجدي عن وجود الكثير من الصخور المرجانية ، وما كان يحيرني فعلاً هو كيف كان نجدي يحدّد تلك الصخور ، ويشق لنفسه طريقًا بينها ، ولكن كان من الواضح أنه يعرف ذلك ويفعل ما يجب فعله دون تردد»[1] .

حقًا إنها طريقة أهل الكويت في العمل الجاد ، والوعي اليقظ للتجارب والخبرات السابقة كما قال نجدي ذات يوم لفيليبرز ! .

وفي عام ١٩٧٦م وقبل أن يلقى النوخذة على بن ناصر النجدي قدره المحتوم - كما أشرنا سابقًا- أصبح مختاراً على ضاحية كيفان السكنية ، ليختم بذلك حياة حافلة بالمجد أمضى جل سنواتها بين أمواج الخليج وبحر العرب . لقد كان مثلاً لمن عشق البحر حيا وميتًا ، وجديرا بأن يطلب القراء الأعزاء مزيداً من المعرفة عن حياته وأسباب شهرته ! .

(١) المرجع السابق ص٥٩٥ .